Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فخرج هارباً، وبعد أن اطمأن سراقة بن مرداس، قال: ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهاداً ولا مبالغة في الكذب، مني في أيماني هذه التي حلفت لهم بها إني قد رأيت الملائكة معهم تقاتل. ثم قال:

ألا أبْـلِـغْ أبـا إسـحـاقَ أنـي　　رأيتُ البُلْقَ دَهْماً مُصْمَتاتِ
كَفَرْتُ بِوَحْيِكمْ وجعلت نَذْراً　　عليَّ قِتالَكمْ حتى المماتِ
أري عَيْنَيَّ ما لم تُبْصِراهُ　　كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ
إذا قالوا أقول لهم: كَذَبْتُمْ　　وإنْ خَرَجُوا لَبِسْتُ لهم أداتي[1]

لما وقع «سراقة» في الأسر، أيقن أنه لا محالة مقتول، فطار صوابه، وأخذ ينادي «المختار» مستجيراً ومادحاً، فاستبقاه «المختار» ليلة في السجن، لا شك أنها كانت طويلة جداً عند سراقة، قضاها يشحذ فكره، كيف السبيل إلى الخلاص؟

يبدو أنه توصل إلى عدة مقررات، أولاها تلك القصيدة التي سلك فيها سبيل الاستعطاف والاعتراف بالخطأ محاولاً التأثير في أحاسيس المختار ومشاعره، ثم انتقل إلى المقارنة بين انتصاره وجماعته، وانتصار النبي «محمد» ﷺ في غزوة بدر وحنين، فهو يرفع من قدر ممدوحه إلى أعلى رتبة بنظره، وهي مقام النبي، وأخيراً أعلن توبته عما اقترفه من ذنوب، أي عن معارضته «المختار» مبيناً أنه سيعمل على مدحه وشكره.

ويبدو أيضاً أن سراقة، بفراسته ونظرته إلى المختار، استنتج أن ما قاله، لم يكن كافياً لارضاء المختار، فاندفع يقسم بالله أنّه لم يقع أسيراً، إلا لأن الملائكة كانت تقاتل في جيش «المختار» وأن الملائكة هي التي أسرته، إنها حيلة بارعة ذكية، لقيت استحساناً من المختار الذي ـ مع عدم اقتناعه بهذا الكلام ـ طلب من سراقة، صعود المنبر واعلام الناس بما رآه. وهكذا استطاع «سراقة» بدهائه وظرفه أن ينفذ إلى الغرور السياسي في المختار، وان ينجو من القتل.

---

(1) **الطبري** 6/ 55 وقارن **بالكامل في التاريخ** لابن الأثير 4/ 238 وما بعدها، والأخبار الطوال ص 303 حيث قدّم البيت الثالث على الثاني ولم يذكر البيت الرابع، وهناك تغيير في بعض الكلمات.